كلية : الآداب

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الثانية

أستاذ المادة : د. خالد محمد ياسين

اسم المادة بالغة العربية : الكتاب القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية : old book

اسم المحاضرة الثالثة باللغة العربية: كتاب البخلاء

اسم المحاضرة الثالثة باللغة الإنكليزية : book albukhala

- كتاب البخلاء

التعريف به: إنه كتاب في النقد الاجتماعي والخلقي ، جمع فيه الجاحظ طائفة من اخبار البخلاء والمقتصدين مما شاهده بنفسه أو سمع به . لم يترك كتاباً، عرف به كتب في البخل إلا طالعه ، ولا خيراً عن البخلاء إلا تقصاه وتحراه.

الغاية من تأليف الكتاب :

نستنتج من مقدمة الكتاب ، أن الجاحظ توخى في كتابه هذا إصلاح مشكلة اجتماعية هي مشكلة البخل وما يُستباح في سبيله من قيم فقال: " وإنما نحكي عن البخلاء الذين جمعوا بين البخل واليسر ...." وهو يعرض بطريقة مضحكة ومسلية ومفيدة، مجموعة قصصية من نوادر الأشحاء وأكثرهم من مواطنيه المسجديين في البصرة وبغداد مما يسميهم - أصحاب الجمع والمنع - ومن معاصريه من أهل خراسان ويتوع خاص أهل (مرو).

قيمة كتاب البخلاء:

١- الأدبية :

وقد تجلت بالشكل القصصي الفني الذي سرد به حكاياته (مقدمة عقدة - حل - حوار - واقعية تحليل - متعة - فائدة - طلاوة في السرد - سهولة رشاقة وبراعة في التعبير ....). فضلا عن مقدرته الوصفية ، ودقته التحليلية وانتقاداته اللاذعة.

٢- التاريخية :

أ - يذكر اسماء كثيرين من بخلاء معاصريه ومواطنيه ولاسيما المسجديين ممن يسميهم - أصحاب الجمع والمنع- .

ب - يظهر أن الأحاديث عن البخل والبخلاء الذين بنو مجدهم على المال كانت شائعة في عصر الجاحظ، (العباسي الثاني)، وفي بيئته (بغداد والبصرة، وخراسان ومرو) فأحب أن يكون له جولة في ذلك المضمار، وهو خير من مثل عصره.

ج - كتاب البخلاء مجموعة معلومات تاريخية نتعرف إليها في ذكر عادات عربية قديمة في أنواع المأكل والملابس وفي الضيافة والكرم عن طريق إشعال النار واستنباح الكلاب بالإضافة إلى كونها لوحة ناطقة عن عصر الجاحظ في التقاليد والعادات وأثر الحضارة وموجة البناء والعمران واستفحال الحركة الشعوبية ثم الرد عليها بلسان الجاحظ.

د - تجلت أيضاً في طريقة الحوار الجدلي المستند إلى أدلة مقنعة وبراهين منطقية كانت سائدة في ذلك العصر" لا يقال: فلان بخيل إلا وهو ذو مال .... ولا يقال فلان سخي الا وهو ذو مال ...." أو ليس " أول كل كبير صغيراً ؟ أو ليست بيوت الأموال درهماً إلى درهمٍ ؟ ...."

القيمة الاجتماع الخلفية

- البخل مرض اجتماعي وخلقي وعضال, يصيب الجاهل كما يصيب المثقف.

- البخل في أهل مرو طبع، وكان طبائع بخلائهم قد انتقلت عدواها إلى طيورهم وحيواناتهم " فعلمت أن بخلهم شيء في طبع البلاد وفي جواهر الماء، ومن ثم عم جميع حيواناتهم .

- للبخيل نفسية استطاع الجاحظ بمقدرته الوصفية والتحليلية أن يصور لنا شذوذه بأحاديثه وتصرفاته وتفكيره وكيف إن يقطن العيوب غيره وإن كانت صغيرة ولا يفطن لعيوبه ولو كبيرة جدا بل يدافع عنها .

- أقصى سعادة البخيل هي في كسب المال بأية طرق ولو على حساب القيم الأخلاقية وأقصى تعاسته في إنفاقه ولو في أحرج اوقات العوز والحاجة.

- لقد عمد الجاحظ إلى نقد مثل هذه الأمراض الاجتماعية الخلقية وإصلاحها عن طريق سرد أخبار الأشحاء والمقتصدين بأسلوب جذاب وبروح مرحة ساخرة تضحك وتسلي وتفيد في أن واحدٍ.

- وينبغي الإشارة إلى أن الجاحظ لم يلجأ إلى تأدية رسالته الإصلاحية الاجتماعية هذه بطريقة مباشرة فيعطي الإرشادات والنصائح والعظات بل تراك القاري أو السامع يستنتج من خلال تصرفات اشخاصه وأقوالهم وحركاتهم ما يجب تجنبه وما يجب اتباعه: فمريم الصنّاع مثلاً ربة بيت حكيمة، بعيدة النظر في الأمور، واقعية منطقية إذ أن عملها يجمع القليل إلى القليل اعطاها الكثير لتتصرف به وقت الحاجة. فهي حسنة التدبير وبالتالي يمكن الاقتداء بها. بينما زوجها الذي ظنناه أول الأمر أنه سيثور ويغضب وينتقم لشرفه إذا دعت الحاجة إذا به منشرح الصدر، مطمئن البال، لا لكونه عرف كيف جمعت امراته المال بل لأنها " أسقطت مؤونة وكفته نائبة " ليس إلا . وكيف دار الأمر شيء لا يهمه.

فهو بقدر ما يُضحكنا بتعبيره عن إعجابه بتصرف امراته، بقدر ما ننفر منه ونشمئز ونتجنب أن تكون مثله في المجتمع.

أسلوب الجاحظ في التأليف :

١- سلك الجاحظ مسلكاً غريباً في التأليف، فطرق أبوابا عجيبة منه فهو يحدثنا عن البخلاء وعن الحاسد والمحسود وعن تفضيل النطق على الصمت ويحدثنا عن حيل اللصوص وعن غش الصناعات.

ويتكلم عن القيان، وفي أخلاق الكتاب وفي المعلمين والطفيليين والملوك والمغنين وأخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة، ويتحدث عن جميع الأنواع البشرية من ترك وصقالبة وحمران وسودان وبيض وعرب وعجم وعرجان وبرصان وحول وعور.

وعن الطوائف الدينية كالشيعة والزيدية والمعتزلة ويذكر لنا مذاهب اليهود والنصارى والمجوس.

ويتحدث عن التفاح والنبيذ، والقلم والكتب والنرد والشطرنج ويصنع في كل من ذلك كتاباً . أن الجاحظ لم يترك شيئاً مما يجول بخاطر إنسان أو يمر بذهنه إلا كتب فيه إبداعاً وأوفى على الغالية.

٢- شيء اخر امتاز به الجاحظ من بين المؤلفين في عصره هو إدمان الفكاهة فهو لا يبرح يشيع الفكاهة في تصانيفه ومن يتصفح كتبه يرى ذلك بوضوح.

وكان الجاحظ رجلاً متصلاً بجمهور الناس اتصالاً شديداً فهو جليس الخلفاء والوزراء والكتاب وهو ايضاً يجلس الى الباعة والكناسين والموسوسين والمجانين وكان يتعرف الى بداة الأعراب كما كان مصادقاً للترك والروم والسنديين وكان يجالس الشيوخ كما كان يجالس الصبيان . وواضح أن تلك المخالطة قد أكسبته معرفة كاملة بطبائع الناس واطلعته على كثير من مصادر الفكاهة .

٣- وشيء آخر من خصائص الجاحظ في فن التأليف يعرفه من مارس صناعة التعليم وعرف ما يطلبه التلميذ من استاذه من كثرة التكرار والمعاودة وصوغ الدرس بصيغ مختلفة متنوعة فالجاحظ يلح على المعنى الواحد بمختلف صنوف التعبير ولا يترك قارئ كتابه حتى يتيقن أنه قد أوضح له المعرفة إيضاحاً وحتى يطمئن إلى ان القارئ قد وعى ما أراد إلقاءه إليه وعياً تاماً .

٤- ما نلمحه في كتب الجاحظ التنويع وهذا راجع الى طبيعة الأستاذية في الجاحظ فأخص خصائص المعلم أن ينتقل بتلاميذه كلما طال عليهم الوقت في معارف شتى حتى لا يملوا درسه ويسأموا ما يلقنهم إياه من مسائل العلم او مسائل الأدب .

ولذلك نجده يصطنع الاستطراد ويستعمل التعقيب وليس ذلك عجزاً منه ولا التفات عن الغرض وإنما يروح عن القارئ ويستجلب نشاطه ويحدد انتباهه.

٥- إن كتب الجاحظ ترسم لنا صورة طويلة عريضة من صور الحياة في العصر العباسي هذه الصورة نرى فيها الثقافة الفكرية في نواحيها المتعددة وكذلك الحياة السياسية التي كان يحياها القوم و نرى فيها الحياة المدنية حتى لكإنما نعايش العباسيين فنرى منازلهم وحماماتهم ومصابيحهم وملابسهم ومطاعمهم ومآدبهم وصناعاتهم وغير ذلك من دقائق الحياة التي انتبه الجاحظ إليها انتباهاً دقيقاً ولاسيما في كتاب البخلاء الذي يعتبر بحق أصدق مصورة راسمة للعصر العباسي وأهم مرجع فيه.

٦- كان مهتماً بتسجيل الحياة اليومية وهو لا يفتأ يذكر أسماء معاصريه ويروي نوادرهم وهو لا يدع شيخاً أو شاباً ولا عاقلاً أو مجنوناً ممن تقع له النادرة أو تصدر عنه الفكاهة إلا عرض ذلك بين يدي قارئه.